المستشرقون والشيعة
مع
دراسة خاصة للمستشرق الفرنسي هنري كوربان

م .م اسلى فلاح حسن
جامعة البصرة– مركزدراسات البصرة والخليج العربي

م .م.مازن قاسم مهلهل
جامعة بغداد– مركز احياء التراث العلمي العربي

Abstract:

The study of Orientalists and identifying the Orientalist Trends about Shiites is an important issue, because it is in reality embodies the western vision for the Schism ,the doctrine of Alulbayt and their suffering and apposition against void ,and would stand firmly and administrating justice against it ,and against the Tyrants deviation. Orientalism is a science stands alone, and it relies on studying the history and the geography of people ,also it relies on its spiritual and mythology doctrines. In addition to that, it relies on the psychological studies for that or those people (east). Orientalism science never forgot the different Arts for that people and study its political systems in multiple-phases .It is not hidden to the reader that orientalism has many different schools such as French schools, German schools, Spanish schools and English schools and others.

May be the French study in orientalism is one of the oldest that discussed the two histories the Arabic and the Islamic one. The orientalists had wrote about those histories according to the available historical resources for them at that time, and according to their good intentions from the other hand. The crusades played an important role in identifying the westerns to the Arabic region and to the prosperous Arabic culture in that time. The real interest was increased with oriental studies by the French researchers and politicians since the beginning of the second half of the ١٧th century, whereas the statesmen such as politicians and Economists were sending the delegates and researchers or by assigning some trustee worthy persons in French consulates to east□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□

المقدمة

أن دراسة المتشرقين والتعرّف على الاتجاهات الاستشراقية حول الشيعة أمر مهم لأنه في الحقيقة يجسد الرؤيا الغربية للمذهب الشيعي مذهب أل البيت ومعاناتهم وتصديهم للباطل ووقوفهم ضده بكل صلابة واقامة العدل ضد انحراف الطغاة ، فالاستشراف علم قائم بذاته يعتمد دراسة تاريخ شعب وجغرافيته ويعتمد أيضاً عقائده الروحية والميثيولوجية، فضلا عن ذلك يعتمد الدراسات النفسية لهذا الشعب أو ذاك في (الشرق)، ولا ينسى علم الاستشراف دراسة الفنون المختلفة لهذا الشعب ودراسة نظمه السياسية في أطوار متعددة، ولا يخفى على القارئ الكريم أن للاستشراف مدارس مختلفة، فهناك المدرسة الفرنسية والمدرسة الألمانية والمدرسة الأسبانية والإنكليزية و...الخ.

لعلّ الدراسة الفرنسية في للاستراق من أقدم وأعرق المدارس التي تناولت التاريخين العربي والإسلامي، إذ راح المستشرقون فيها يكتبون عن هذين التاريخين ما تمليه عليهم المصادر التاريخية المتوفرة لديهم حيناً، وتمليه عليهم ضمائرهم ونواياهم حيناً آخر، وقد لعبت الحملات الصليبية دوراً كبيراً في تعريف الغربيين على المنطقة العربية وعلى الحضارة الإسلامية المزدهرة وقتذاك. وقد زاد الاهتمام الفعلي

بالدراسات الاستشراقية من قبل الباحثين والسياسيين الفرنسيين منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، حيث كان رجال الدولة من سياسيين ورجال اقتصاد يرسلون المبعوثين والباحثين أو يقومون بتكليف بعض المعتمدين في القنصليات الفرنسية في المشرق: المنطقة العربية، استانبول، لشراء وجمع المخطوطات العربية والشرقية ، وعلى الرغم من أن أغلب المستشرقين قد حاولوا نقل صورة مشوهة عن الإسلام والتشيع إلى العالم الغربي وتقديم تلك الصورة على أساس أن الإسلام بمفاهيمه العامة، والتشيع بمفاهيمه الخاصة عبارة عن بناء واه خال من الفكر والثقافة وبعيد عن كل المستجدات والتطورات الحضارية إلا أن كوربان ونفراً قليلاً من المستشرقين كان لهم وجهة نظر مخالفة تماماً لهذه الصورة المشوهة، وحاولوا جاهدين إزالة الحجب والسواتر عن الوجه الحقيقي للإسلام المضيء وإعادة وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بالمذهب الشيعي الذي يمثل الوجه الروحي والفكري للدين الإسلامي الذي جاء به محمد (ص) كرسالة سماوية خالدة، هذه الرسالة التي توجه بها الرسول المصطفى(ص) - كما يقول المستشرق (مكسيم رودنسون)- لكل البشر وليس لأمة واحدة دون غيرها.

وسوف نعرض لأراء المستشرقين واتجاهاتهم ونؤكد بصوره خاصة على دراسة المستشرق الفرنسي الدكتور هنري كوربان .

الاتجاهات الاستشراقية في التشيع :

الاتجاه الأول: التشيّع فارسيّ المبدأ أو الصبغة

وهو اتجاه اخترعه المستشرقون لتكوّن مذهب الشيعة في المجتمع الإسلامي، وهذه الفرضية تعتمد اعتبار حداثة هذا المذهب قصداً أم جهلاً، فقادها هذا التصوّر الخاطئ إلى اعتماد نظرية تقول بفارسيّة المبدأ أو الصبغة لمذهب التشيّع، وهذا الترديد بين الأمرين مرجعه رأيان لأصحاب هذه النظرية في المقام:

١. إنّ التشيع من مخترعات الفرس؛ اخترعوه لإغراض سياسية ولم يعتنقه أحد من العرب قبل الفرس، ولكنّهم لما أسلموا اخترعوا تلك الفكرة لغاية خاصّة.

٢. إنّ التشيّع عربي المبدأ، وإنّ لفيفاً من العرب اعتنقوه قبل أن يدخل الفرس في الإسلام، ولمّا أسلموا اعتنقوه وصبغوه بصبغة فارسية لم تكن من قبل.

أمّا النظرية الأولى: فقد اخترعها المستشرق دوزي، وملخّصها: أنّ للمذهب الشيعي نزعة فارسية؛ لأنّ العرب كانت تدين بالحرّيّة، والفرس تدين بالملك والوراثة، ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولمّا انتقل النبيّ إلى دار البقاء ولم يترك ولداً، قالوا :علي أولى بالخلافة من بعده.

وحاصله: أنّ الانسجام الفكري بين الفرس والشيعة ـ أعني: كون الخلافة أمراً وراثياً ـ دليل على أنّ التشيّع وليد الفرس.

وهذا التصوّر مردود لجملة واسعة من البديهيات، منها:

أوّلاً: أنّ التشيّع حسبما عرفت ظهر في عصر النبيّ الأكرم، وهو الذي سمّى أتباع عليّ بالشيعة، وكانوا موجودين في عصر النبيّ وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس ـ سوى سلمان ـ في الإسلام.

بلى، فإنّ روّاد التشيّع في عصر الرسول والوصي كانوا كلّهم عرباً ولم يكن بينهم أيّ فارسيّ سوى سلمان المحمّدي، وكلّهم كانوا يتبنّون فكرة التشيّع. وكان لأبي الحسن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أيام خلافته ثلاثة حروب: حرب الجمل، وصفّين، والنهر وان. وكان جيشه كلّه عرباً ينتمون إلى أُصول وقبائل عربية مشهورة بين عدنانية وقحطا نية، فقد انضمّ إلى جيشه زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج، وهمدان، و طي، وكندة، وتميم، ومضر، بل كان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل كعمّار بن ياسر، وهاشم المرقال، ومالك الأشتر، وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن عباس، ومحمّد بن أبي بكر، وحجربن عدي ، وعدي بن حاتم، وأضرابهم. وبهذا الجند وبأُولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصرة، وحارب القاسطين ـ معاوية وجنوده ـ يوم صفّين، وبهم قضى على المارقين.

فأين الفرس في ذلك الجيش وأُولئك القادة كي نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيّع؟ ثمّ إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب.

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربي المبدأ:

إنّ عدداً من المستشرقين وغيرهم صرّحوا بأنّ العرب اعتنقت التشيّع قبل الفرس من خلال النصوص التالية :

١. قال الدكتور أحمد أمين: الذي أرى ـ كما يدلّنا التاريخ ـ أنّ التشيّع لعليّ بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام ولكن بمعنى ساذج، ولكن هذا التشيّع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام، وحيث إنّ أكبر عنصر دخل في الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر في التشيّع [١] وسيوافيك الكلام على ما في ذيل كلامه من أنّ التشيّع أخذ صبغة جديدة بعد فترة من حدوثه.

٢. وقال المستشرق فلهوازن: كان جميع سكان العراق في عهد معاوية ـ خصوصاً أهل الكوفة ـ شيعة، ولم يقتصر هذا على الإفراد، بل شمل القبائل ورؤسا قبائل العرب [٢].

٣. وقال المستشرق جولد تسيهر: إنّ من الخطأ القول بأنّ التشيّع في نشأته ومراحل نموه يمثّل الأثر ألتعديلي الذي أحدثته أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبني على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحتة. [٣]

٤. وأمّا المستشرق آدم متز فإنّه قال: إنّ مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الإيرانية يخالف الإسلام، فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبرى مثل مكّة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة في بعض المدن أيضاً مثل عمان، وهجر، وصعده، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة، ما عدا قم، وكان أهل أصفهان يغالون في معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنّه نبي مرسل. [٤]

ولعلّ المتأمّل في كلمات هؤلاء يجد بوضوح أنّهم يقطعون بفساد الرأي الذاهب إلى فارسيّة التشيّع، وأنّهم لم يجدوا له تبريراً معقولاً، بالرغم من عدم تعاطفهم أصلاً مع التشيّع، فتأمل.

٥. يقول الشيخ أبو زهرة: إنّ الفرس تشيّعوا على أيدي العرب وليس التشيّع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأمّا فارس وخراسان وما وراءهما من بلدان الإسلام، فقد هاجر إليها كثيرون من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيّعون فراراً بعقيدتهم من الأمويين أوّلاً، ثمّ العباسيين ثانياً، وأنّ التشيّع كان منتشراً في هذه البلاد انتشاراً عظيماً قبل سقوط الدولة الأموية بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها. [٥]

٦. وقال السيّد الأمين: إنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة في أوّل الأمر إلاّ القليل، وجلّ علماء السنّة وأجلاّئهم من الفرس، كالبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم النيسابوري والبيهقي، وهكذا غيرهم ممّن أتوا في الطبقة التالية [٦].وأما النظرية الثانية فإنّ التاريخ يدلّنا على أنّ الفرس دخلوا في الإسلام يوم دخلوا بالصبغة السنّية، وهذا هو البلاذري يحدّثنا في كتابه عن ذلك بقوله:كان ابرويز وجّه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف، وكانوا خدمه وخاصّته، ثمّ كانوا على تلك المنزلة بعده، وشهدوا القادسية مع رستم، ولمّا قتل وانهزم المجوس اعتزلوا، قالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ، وأثرنا عندهم غير جميل، والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم، فاعتزلوا. فقال سعد: ما لهؤلاء؟ فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم

عن أمرهم، فأخبروا بخبرهم، وقالوا: ندخل في دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره فآمنهم، فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء، ثمّ تحوّلوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين[٧] لم يكن إسلامهم ـ يوم ذاك ـ إلاّ كإسلام سائر الشعوب، فهل يمكن أن يقال: إنّ إسلامهم يوم ذاك كان إسلاماً شيعياً؟

وأمّا النظرية الثالثة: فإنّ الإسلام كان ينتشر بين الفرس بالمعنى الذي كان ينتشر به في سائر الشعوب، ولم يكن بلد من بلاد إيران معروفاً بالتشيّع إلى أن انتقل قسم من الأشعريين الشيعة إلى قم وكاشان، فبذروا بذرة التشيّع، وكان ذلك في أواخر القرن الأول، مع أنّ الفرس دخلوا في الإسلام في عهد الخليفة الثاني؛ أي ابتداء من عام (١٧هـ)، وهذا يعني أنّه قد انقضت أعوام كثيرة قبل أن يدركوا ويعلموا معنى ومفهوم التشيّع، فأين هذا من ذاك. وهذا هو ياقوت الحموي يحدّثنا في معجم البلدان بقوله: قم، مدينة تذكر مع قاشان، وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأوّل من مصّرها طلحة بن الاَحوص الأشعري، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجّاج بن يوسف سنة (٨٣هـ)، وذلك أنّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس، كان أمير سجستان من جهة الحجّاج، ثمّ خرج عليه، وكان في عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين، فلمّا انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان في جملة إخوة يقال لهم: عبد الله، والأحوص، وعبد الرحمن، وإسحاق، ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري، وقعوا في ناحية قم، وكان هناك سبع قرى اسم أحداها «كمندان» فنزل هؤلاء الإخوة على هذه القرى حتّى افتتحوها واستولوا عليها، وانتقلوا إليها واستوطنوها، واجتمع عليهم بنو عمّهم وصارت السبع قرى سبع محالّ بها، وسمّيت باسم إحداها «كمندان ، فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قماً، وكان متقدّم هؤلاء الأخوة عبد الله ابن سعد، وكان له ولد قد ربّي بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، وكان أماميا، وهو الذي نقل التشيّع إلى أهلها، فلا يوجد بها سنّيّ قط[٨] إذن فهذا كلّه راجع إلى تحليل النظرية من منظار التاريخ، وأمّا دليله فهو أوهن من بيت العنكبوت، فإذا كان الفرس لايعرفون معنى الانتخاب والحرية، فإنّ العرب أيضاً مثلهم، فالعربي الذي كان يعيش بالبادية عيشة فردية كان يحبّ الحرية ويمارسها، وأمّا العربي الذي يعيش عيشة قبلية، فقد كان شيخ القبيلة يملك زمام أُمورهم وشؤونهم وعند موته يقوم أبناؤه وأولاده مكانه واحداً بعد الآخر، فما معنى الحرية بعد هذا؟!تحليل الاتجاهات الاستشراقية إنّ هذه النظرية وإن كانت تعترف بأنّ التشيّع عربي المولد والمنشأ، ولكنّها تدّعي أنّه اصطبغ بصبغة فارسية بعد دخول الفرس في الإسلام، وهذا هو الذي اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولفيف من المستشرقين كـ «فلهوزن» فيما ذهبوا إليه في تفسير نشأة تشيع

يقول الثاني: إنّ آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين، أمّا كون هذه الآراء قد انبثقت

من الإيرانيين فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه، بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك؛ إذ تقول إنّ التشيّع الواضح الصريح كان قائماً أوّلاً في الأوساط العربية، ثمّ انتقل بعد ذلك منها إلى الموالي، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الأوساط.

ولكن لمّا ارتبطت الشيعة العربية بالعناصر المضطهدة تخلّت عن تربية القومية العربية، وكانت حلقة الارتباط هي الإسلام، ولكنّه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين. [٩] أقول: إنّ مراده أنّ التشيّع كان في عصر الرسول وبعده بمعنى الحبّ والولاء لعليّ لكنّه انتقل بيد الفرس إلى معنى آخر وهو كون الخلافة أمراً وراثياً في بيت عليّ وهو الذي يصرّح به الدكتور أحمد أمين في قوله: إنّ الفكر الفارسي استولى على التشيّع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس في عهد ملوك بني ساسان وغيرهم.

إلاّ أنّه يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل إنّ مبدأ وراثية الحكم كان سائداً في جميع المجتمعات، فالنظام السائد بين ملوك الحيرة وغسّان وحمير في العراق والشام واليمن كان هو الوراثة، والحكم في الحياة القبلية في الجزيرة العربية كان وراثياً، والمناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أُموراً وراثية، حتّى أنّ النبيّ الأكرم لم يغيّرها بل إنّه أمضاها كما في قضيّة دفعه لمفاتيح البيت إلى بني شيبة وإقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد. فإلصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمر عجيب لا يقرّه العقلاء، فعلى ذلك يجب أن نقول: إن التشيّع اصطبغ بصبغة فارسية وغسّانية وحميرية وأخيراً عربية، وإلاّ فما معنى تخصيص فكرة الوصاية بالفرس مع كونها آنذاك فكرة عامّة عالمية؟!إنّ النبوّة والوصاية من الأمور الوراثية في الشرائع السماوية، لا بمعنى أنّ الوراثة هي الملاك المعيّن بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نور النبوّة والإمامة في بيوتات خاصّة، فكان يتوارث نبيّ نبيّاً، ووصيّ وصيّاً، يقول سبحانه:ولقد أَرْسَلْنَا نُوحاً وإبرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيَّتِهما النُّبُوَّةَ والكتاب [١٠].

وإذ ابْتَلَى إبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنّي جَاعِلُك لِلنّاسِ إمَاماً قَالَ وَمِن ذُرّيَّتِي قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظالمين) [١١](أم يَحْسُدُون النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبراهِيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عظيما [١٢]. لماذا لا يكون سبب تشيّع الفرس مفاد هذه الآيات والروايات التي تصرّح بأنّ الوصاية بين الأنبياء كانت أمراً وراثياً؟ وإنّ هذه سنّة الله في الأمم كما هو ظاهر قوله سبحانه: «لا ينال عهدِي الظالمين فسمّى الإمامة عهد الله لا عهد الناس.ثمّ إنّ من زعم أنّ التشيّع من صنع الفرس مبدأ وصبغة فهو جاهل بتاريخ الفرس، وذلك لأنّ التسنّن كان هو السائد فيهم

إلى أوائل القرن العاشر حتّى غلب عليهم التشيّع في عصر الصفويين، نعم كانت مدن ري وقم وكاشان معقل التشيّع ومع ذلك يقول أبو زهرة: إنّ أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة، وإنّ الشيعة الأولين كانوا من فارس .(١٣)

أمّا غلبة التشيّع عليهم في الأوان الأخير فلا ينكره أحد، إنّما الكلام في كونهم كذلك في بداية دخولهم إلى الإسلام، فالذي يظهر أنّ الرجل جاهل بتاريخ بلاد إيران وليس له معرفة حقيقية بتفاصيل التركيبة المذهبية المختلفة التي كانت واضحة في أطراف المجتمع الإيراني وبيّنة فيه.

وإليك ما ذكره المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم لتقف على أنّ المذهب السائد في ذلك القرن، هل كان هو التشيّع أم التسنّن؟ يقول:

((إقليم خراسان للمعتزلة والشيعة، والغلبة لأصحاب أبي حنيفة إلاّ في كورة الشاش؛ فأنّهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبد الله السرخسى، وإقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلاّ أنّ أهل الحديث حنابلة والغالب بدبيل ـ لعلّه يريد أردبيل ـ مذهب أبي حنيفة وبالجبال، أمّا بالريّ فمذاهبهم مختلفة، والغلبة فيهم للحنفية، وبالري حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة، والدينور غلبه مذهب سفيان الثوري، وإقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف أهل الأهواز شيعة، وبه أصحاب أبي حنيفة كثير، وبالأهواز مالكيّون... إقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث وأصحاب أبي حنيفة... إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعي... إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب حديث، وأهل الملتان شيعة يهوعلون في الأذان ـ أي يقولون حيّ على خير العمل ـ ويثنّون في الإقامة ـ أي يقولون الله أكبر مرّتين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله مرّتين أيضاً وهكذا ـ ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة.(١٤)

وأمّا ابن بطوطة في رحلته فيقول: «كان ملك العراق السلطان محمد خدا بنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الأمامية يسمّى جمال الدين بن مطهر يعني العلاّمة الحلي ٦٤٨) ـ ٧٢٦هـ) ـ فلمّا أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه، فزيّن له مذهب الروافض وفضّله على غيره... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك إلى العراقيين وفارس وآذربايجان وأصفهان وكرمان وخراسان، وبعث الرسل إلى البلاد، فكان أوّل بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز وأصفهان، فأمّا أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الأَزج يقولون: لا سمعاً ولا طاعة، وجاءوا للجامع وهدّدوا الخطيب بالقتل إن غيّر الخطبة، وهكذا فعل أهل شيراز وأهل أصفهان. (١٥)

وقال القاضي عيّاض في مقدّمة «ترتيب المدارك وهو يحكي انتشار مذهب مالك: وأمّا خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أوّلاً بيحيى بن يحيى التميمي، وعبد الله بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، فكان له هناك أئمّة على مرّ الأزمان، وتفشّى بقز وين وما والاها من بلاد الجبل. وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو إسحاق بن القطّان، وغلب على تلك البلاد مذهبا أبي حنيفة والشافعي (١٦)

قال «بروكلمان : إنّ شاه إسماعيل الصفوي بعد انتصاره على «الوند توجّه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أنّ ثلثي سكان المدينة ـ الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف ـ من السنّة. (١٧)

إذن فالنصوص المتقدّمة تدلّ دلالة واضحة على أنّ مذهب التسنّن كان هو المذهب السائد إلى القرن العاشر بين الفرس، فكيف يمكن أن يقال: إنّ بلاد فارس كانت هي الموطن الأصلي للتشيّع؟

وممّا يؤكّد ذلك أيضاً ما رواه ابن الأثير في تأريخه من أنّ أهل طوس كانوا سنّة إلى عصر محمود بن سبكتكين، قال: إنّ محمود بن سبكتكين جدّد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر عليّ بن موسى الرضا وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره، فمنعهم ابنه عن ذلك، وكان سبب فعله ذلك أنّه رأى في المنام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وهو يقول: إلى متى هذا؟ فعلم أنّه يريد أمر المشهد، فأمر بعمارته. (١٨) ويؤيّد ذلك ما رواه البيهقي: أنّ المأمون العباسي همَّ بأن يكتب كتاباً في الطعن على معاوية، فقال له يحيي بن أكثم: يا أمير المؤمنين، العامّة لا تتحمّل هذا ولا سيما أهل خراسان، ولا تأمن أن يكون لهم نفرة. (١٩)

إلاّ أنّ المتوكل عمد وبصلافة وتهتّك إلى هدم قبر الحسين عليه السلام وفي ذلك قال الشاعر المعروف بالبسّامي:

تالله إن كانت أميّة قد أتت * قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا *
في قتله فتتبّعوه رميما (٢٠)

فقد بان ممّا ذكر أمران:

١. إنّ التشيّع ليس فارسيّ المبدأ، وإنّما هو حجازي المولد والمنشأ، اعتنقه العرب فترة طويلة لم يدخل فيها أحد من الفرس ـ سوى سلمان المحمّدي ـ وإنّ الإسلام دخل بين الفرس مثل دخوله بين سائر الشعوب، وأنّهم اعتنقوا الإسلام بمذاهبه المختلفة

مثل اعتناق سائر الأمم له، وبقوا على ذلك طويلاً إلى أن اشتد عود التشيّع وكثر معتنقوه في عهد بعض ملوك المغول أو عهد الصفوية (٩٠٥هـ)

٢. إنّ كون الإمامة منحصرة في عليّ وأولاده ليس صبغة عارضة على التشيّع، بل هو جوهر التشيّع وحقيقته، ولولاه فقد التشيّع روحه وجوهره، فجعل الولاء لآل محمّد أو تفضيل عليّ على سائر الخلفاء أصله وجوهره، واعتبار هذا الأمر ـ كما يعتقده البعض ـ أمراً عرضياً دخيلاً على مذهب التشيع، تصوّر لا دليل له إلاّ التخرص والاختلاق.

قال المفيد ـ رحمه الله ـ: الشيعي من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان وأوجب النصّ الجليّ والعصمة والكمال لكلّ إمام، ثمّ حصر الإمامة في ولد الحسين بن عليّ وساقها إلى الرضا عليّ بن موسى.

الاتجاه الثاني : الشيعة ويوم الجمل

وأمّا الافتراض الخاطئ الرابع فيذهب إلى أنّ الشيعة تكوّنت يوم الجمل، حيث ذكر ابن النديم في الفهرست: أنّ علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلهما حتّى يفيئا إلى أمر الله ـ جلّ اسمه ـ وتسمّى من اتّبعه على ذلك الشيعة، وكان يقول: شيعتي، وسمّاهم : الأصفياء، الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب [٢١] وعلى ذلك جرى المستشرق «فلهوزن» حيث يقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى فئتين :حزب عليّ، وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه في العربية اسم «الشيعة» فكانت شيعة عليّ في مقابل شيعة معاوية، لكن لمّا تولّى معاوية الملك في دولة الإسلام كلّها... أصبح استعمال لفظة «شيعة» مقصوراً على أتباع عليّ [٢٢]الملفت للنظر أن ما ذكره ابن النديم من تقسيمه لشيعة عليّ عليه السلام إلى الأصفياء والأولياء و ...هو عين التقسيم الذي أورده البرقي [٢٣] لأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:أصحاب أمير المؤمنين:

من أصحاب رسول الله _ﷺ : الأصحاب، ثمّ الأصفياء، ثمّ الأولياء، ثمّ شرطة الخميس:من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين : سلمان الفارسي، المقداد، أبو ذر، عمّار، أبو ليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، أبو سعيد الخدري (عربي أنصارى) أبو برزة، جابر بن عبد الله، البراء بن عازب (أنصاري)، عرفة الأزدي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا له فقال: «اللّهمّ بارك له في صفقته.«وأصحاب أمير المؤمنين، الذين كانوا شرطة الخميس وكانوا ستّة آلاف رجل، وقال عليّ بن الحكم: (أصحاب) أمير المؤمنين الذين قال لهم: «تشرّطوا إنّما أُشارطكم على الجنّة،

ولست أُشارطكم على ذهب أو فضّة، إنّ نبيّنا عليه السلام قال لأصحابه فيما مضى: تشرّطوا فانّي لست أُشارطكم، إلاّ على الجنّة[٢٤] وممّا تقدّم يظهر أنّ من عدّه ابن النديم من أصحاب الإمام رجالاً ماتوا قبل أيام خلافته كسلمان و أبو ذر والمقداد، وكلّهم كانوا شيعة للأمام، فكيف يكون التشيّع وليد يوم الجمل؟ والظاهر وجود التحريف في عبارة ابن النديم. على كل تقدير فما تلونا عليك من النصوص الدالّة على وجود التشيّع في عصر الرسول وظهوره بشكل جليّ بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا قبل أن تشبّ نار الحرب في البصرة، دليل على وهن هذا الرأي ـ على تسليم دلالة كلام ابن النديم ـ فإنّ الأمام وشيعته بعد خروج الحقّ عن محوره، واستتباب الأمر لأبي بكر، رأوا أنّ مصالح الإسلام والمسلمين تكمن في السكوت ومماشاة القوم، بينما كان نداء التشيّع يعلو بين آن وآخر من جانب المجاهرين بالحقيقة، كأبي ذر الغفاري وغيره، ولكن كانت القاعدة الغالبة هي المحافظة قدر الإمكان على بقاء الإسلام وعدم جرّ المسلمين إلى صدام كبير ونار متأجّجة لا تبقي ولا تذر، والعمل قدر الإمكان لدعم الواجهة السياسية للخلافة الإسلامية ورفدها بالجهد المخلص والنصح المتواصل.

إلاّ أنّ الأمر عندما آل إلى الإمام عليّ وجدت شيعته متنفساً واسعاً للتعبير عن وجودها والإفصاح عن حقيقتها، فظهرت بأوضح وأجلى صورها، فمن هنا وقع أصحاب هذه الفرضية وغيرها في هذه الاشتباهات الواضحة البطلان.

الاتجاه الثالث : الشيعة ويوم صفّين زعم بعض المستشرقين [٢٥] أنّ الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش عليّ في مسألة التحكيم إلى فرقتين، فلمّا دخل عليّ الكوفة وفارقته الحرورية، وثبت إليه الشيعة، فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت.

وهذا الفهم الخاطئ لهذه الواقعة، وامتطاء هذه العبارة المذكورة لتحديد نشأة التشيّع يعتمد بالأساس على افتراض أنّ لتكوّن الشيعة تاريخاً مفصولاً عن تاريخ الإسلام، فأخذ يتمسّك بهذه العبارة، مع أنّ تعبير الطبري ـ أعني قوله: وثبت إليه الشيعة (٢٦) ـ دليل على سبق وجودهم على ذلك.

نعم كان للشيعة بعد تولّي الأمام الخلافة وجود واضح حيث ارتفع الضغط فالتفّ حوله موالوه من الصحابة والتابعين، إلاّ أنّ الأمر الثابت هو أنّ ليس جميع من كان في جيشه من شيعته بالمعنى المفروض والواقعي للتشيّع، بل أغلب من انخرط في ذلك الجيش كانوا تابعين له لأنه خليفة لهم، وقد بايعوه على ذلك.

ألا تجاه الرابع : الشيعة والبويهيّون

تقلّد آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام (٣٢٠) إلى (٤٤٧هـ)، فكانت لهم السلطة في العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان وأصفهان والري، وقد أُقصوا عن الحكم في الأخير بهجوم الغزاونة عليهم عام(٤٢٠هـ). وقد ذكر المؤرّخون ـ خصوصاً ابن الأثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ـ شيئاً كثيراً من أحوالهم، وخدماتهم، وإفساحهم المجال لجميع العلماء من دون أن يفرقوا بينهم بمختلف طوائفهم، وقد ألّف المستشرق «ستانلي لين بول» كتاباً في حياتهم ترجم باسم: طبقات سلاطين الإسلام.

يقول ابن الأثير في حوادث عام (٣٧٢هـ) في حديثه عن أحد السلاطين البويهيّين، وهو عضد الدولة: وكان عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمّة، ثاقب الرأي، محبّاً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء... إلى أن قال :وكان محبّاً للعلوم وأهلها، مقرّباً للعلماء، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل، فقصده العلماء من كلّ بلد، وصنّفوا له الكتب، ومنها الإيضاح في النحو، والحجّة في القراءات، والملكي في الطبّ، والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك[٢٧].

وهذا يدل على أنّهم كانوا محبّين للعلم ومروّجين له ولهم أياد مشكورة في نشر العلم ومساندة العلماء.وبالرغم من أنّ في عصرهم كان يغلب على أكثر البلاد مذهب التسنّن إلاّ أنّ البويهين لم يقفوا موقف المعادي لهم على الرغم مما وقفه غيرهم من الملوك الآخرين من غير الشيعة من معاداة التشيّع ومحاربته.

ولعلّ التأريخ قد سجّل في صفحاته أحداثاً مؤلمة بعد سقوط البويهين ودخول طغرل بك مدينة السلام (بغداد) عام (٤٤٧هـ)، عندما أُحرقت مكتبة الشيخ الطوسي وكرسيّه الذي كان يجلس عليه للتدريس.[٢٨]نعم راج مذهب الشيعة في عصرهم واستنشق رجالاته نسيم الحرية بعد أن تحملوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً في عهد المتوكّل ومن بعده، غير أنّ تكوّن مذهب الشيعة في أيّامهم شيءٌ وكونهم مروّجين ومعاضدين له شيء آخر، ومن السذاجة بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما.

الاتجاه الخامس : الشيعة والصفويّون

لكلام عن هذه الأسرة هو عين الكلام عن البويهين.إنّ الصفويين هم أُسرة الشيخ صفيّ الدين العارف المشهور في أردبيل المتوفّى عام٧٣٥) هـ). فعندما انقرضت دولة المغول، انقسمت البلاد التي كانت تحت نفوذهم إلى دويلات صغيرة شيعية

وغير شيعية، إلى أن قام أحد أحفاد صفيّ الدين، الشاه إسماعيل عام (٩٠٥هـ) بتسلّم مقاليد الحكم والسيطرة على بلاد فارس وإقامة حكومة خاصّة به استطاع أن يمدّ نفوذها ويبسط سلطتها، واستمرّ في الحكم إلى عام (٩٣٠هـ)، ثمّ ورثه أولاده إلى أن أُقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة على إيران عام (١١٣٥هـ) فكان الصفويون خير الملوك؛ لقلّة شرورهم وكثرة بركاتهم، وقد راج العلم والأدب والفنون المعمارية أثناء حكمهم، ولهم آثار خالدة إلى الآن في إيران والعراق، ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيّع لا تكوّنه، وهو أمر لا مراء فيه، ولا يقتنع به إلاّ السذّج والجهلاء.

نعم إنّ هذه الآراء الساقطة في تحليل تاريخ الشيعة ومبدأ تكوّنهم، كلّها كانت أُموراً افتراضية بنوها على أساس خاطئ وهو أنّ الشيعة ظاهرة طارئة على المجتمع الإسلامي بعد عهد النبيّ، سامح الله الذين لم يتعمّدوا التزييف وغفر الله لنا ولهم.

المستشرق الفرنسي هنري كوربان

ربما شخصيتنا المذكورة من الذين لم تسلط الأضواء عليهم مع عظيم ما قدموه من دراسات استشراقية للتشيع , هذا الإنسان هو المستشرق الفرنسي هنري كوربان شهد له العديد من علمائنا بالنزاهة في دراسته للتشيع ألاثني عشري بل ووصل الأمر ببعض علمائنا إلى دعوة المستشرقين الآخرين بالأخذ بمنهجه الطيب في الدراسة وقد قال عنه الطبطبائي أن المستشرق الذي كان يبكي عند ذكر اسم صاحب العصر والزمان على مسمعه . فكيف بدأت رحلة هذا المستشرق مع عالم التشيع .....؟

المستشرق الفرنسي الدكتور «هنري كوربان من القلائل الذين فهموا هذه الحقيقة عن التاريخ الإسلامي وعن الممثل الحقيقي للجانبين الفكري والروحي في هذه العقيدة السماوية وكان أيضاً من القلائل جداً الذين كتبوا بنزاهة وجدية عما اكتشفوا من حقائق لا تقبل الطعن عن الدين الإسلامي الحنيف.

ومن المعروف عن الدكتور كوربان أنه كان أستاذاً محاضراً في جامعة السور بون وطهران وكان أيضاً رئيساً للمعهد الفرنسي الإيراني وقد استغل كوربان فترة وجوده الطويلة في إيران أفضل استغلال فاطلع على كثير من المخطوطات والوثائق الإسلامية وكان على اتصال وثيق مع كبار رجال الفكر والدين هناك خاصة اتصاله الوثيق والصداقة التي نشأت بينه وبين العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي .

ا راء المستشرق كوربان في بض ا لـ فقه الشيعي

إن دراسة تحليليه لاراءكوربان من خلال كتاب معرفة الامام / المجلد الثامن عشر/ القسم الخامس: النظرات العلمية للأمام الصادق عليه السلام يتضح من خلال دراسة بعض محاوره

١. الإمام الصادق عليه السلام مؤس علم العرفان

جعفر الصادق مؤسّس العلوم العرفانيّة في الإسلام جاء في كتاب » مغز متفكّر أيضاً: أنّ وجود العرفان في دروس جعفر الصادق يلفت نظرنا إلي كيانه المعنويّ أكثر فأكثر ويدلّ علي أنّ لذوقه تجلّيات متنوّعة.

إنّ مبادي العرفان منذ القرن الثاني الهجريّ الذي ظهر فيه العرفان لم تكن تزيد علي سلوك العارف وقوّة تخيّله وتأمّله. وإذا كان من آثار العرفان علي العارف تغيير أُسلوب حياته والتأثير في خلقه وسلوكه وأدبه، فلسنا نشكّ في أنّ جعفر الصادق كان بهذا رائداً وإماماً للغير. ولكن لا علاقة لهذا السلوك المعنويّ بالعلوم التجريبيّة والماديّة في الإسلام.

وكان جعفر الصادق أوّل عالم وخبير في العلوم التجريبيّة في الإسلام. وهو أوّل عالم جمع بين النظريّة العلميّة والتجربة العمليّة، ولم يكن يقبل أو يؤيّد نظريّة في الفيزياء أو الكيمياء إلاّ بعد التحقّق منها بنفسه في التجربة العمليّة والاختبار. وعالم كهذا لا يهتمّ بعلوم نظريّة بحتة اهتمامه بالعلوم التجريبيّة، إذ لا يمكن قياس العرفان بتجربة فيزيائيّة أو كيميائيّة، ولا يتأتّي إلاّ بعد مدّة طويلة من ترويض النفس.

وفي التأريخ الإسلاميّ أنّ جعفر الصادق كان أوّل عالم تحدّث عن الفيزياء والكيمياء، فلا ينبغي أن يُبدي رغبةً في العرفان حسب القاعدة، لكنّه في طليعة العرفاء والزهّاد، حتّى أنّ الزمخشريّ المعروف، بعدما أثني عليه ثناءً كريماً في كتابه » ربيع الأبرار عدّه من طلائع العرفاء وزعمائهم.

وكان العطّار النيسابوريّ صاحب » تذكرة الأولياء يري أنّ الصادق رائد للعرفاء. ولكن شتّان بين ما سجّله الزمخشريّ، وبين ما أورده العطّار. فقيمة ما كتبه الأول تفوق قيمة ما كتبه الثاني، إذ مضافاً إلي أنّ بعض الروايات في » تذكرة الأولياء غير منظّمة من حيث تأريخ الوقوع،(٢٦) إنّ الكاتب كان مغرماً متيّماً حين الكتابة، وكان عاشقاً للعرفان دون أن ينتبه إلي غلوّه في بعضها.

تلامذة صابئة للإمام الصادق عليه السلام

من هنا، نقول: إنّه لم ينتبه إلي غلوّه، ولو كان فطن له لما غَلاَ، إذ كان يعلم أنّ المبالغة تقلّل من قيمة الكلام. وإذا وجدت المبالغة إلي التأريخ سبيلاً، فلا يتسنّي اعتباره تأريخاً. ويمكن القول: إنّ القلم في يد الزمخشريّ قلم مؤرّخ يتحكّم فيه العقل

والدقّة، أمّا القلم في يد العطّار فيتحكّم فيه الحبّ والعشق. وأيّاً كان الأمر، فالصادق يعدّ في تأريخ العلوم الإسلاميّة من مؤسّسي علم العرفان أو أحد عرفاء العالم الإسلاميّ. وكان يحضر دروسه ويستفيد من علومه عدد من غير المسلمين أيضاً. فقد جاء في عدد من المصادر أنّ نفراً من الصابئة قرأوا عليه. والصابئة بآرائهم الدينيّة هم وسط بين المسيحيّة واليهوديّة، وكانوا يعدّون من الموحّدين. ومنهم من كان مشركاً، وبعد أن اتّسع نطاق الإسلام تظاهروا بالتوحيد كي يستطيعوا العيش مع المسلمين، إذ نعرف أنّ المسلمين كانوا لا يتعرّضون للموحّدين الذين يسمّونهم » أهل الكتاب « بأذى.

وكان مركزهم » حرّان « غرب بلاد ما بين النهرين (العراق) . وكان هذا المركز يسمّي قديماً عند الأوروبيين بـ « كارْهْ » بسكون الحرفين الثالث والرابع. ومن عادات الذين كانوا يعبدون الله منهم تعميد الطفل (غسله) بعد ولادته وتسميته. ويقول صاحب كتاب » تذكرة الأولياء » : [٢٩] كانت جميع الفرق تحضر درس الصادق وتنهل من نميره.

ويقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني [٣٠] لقد استفاد كلٌّ من المسلم والكافر من فضل الصادق عليه السلام وعلمه.

ولا ندري هل كان تسامح الصادق مع غير المسلم راجعاً إلي عرفانه وزهده، أو أنّه كان ينظر إلي الأمور بمنظار شامل. وكان يريد الخير والعلم للجميع. ولهذا فهو يسمح لمن حضر درسه بأن يستمع إليه ولو كان غير مسلم.

ومن الثابت أنّ بين تلامذته من كان صابئيّاً. وذهب بعض الباحثين الأوروبيين ـ كما في » دائرة المعارف الإسلاميّة « ـ إلي أنّ جابر بن حيّان ـ وهو من أشهر تلاميذ الصادق كان من الصابئة أيضاً.

وكان الصابئة في درس الصادق أذكياء، وكانوا يبذلون قصاري جهدهم لاستيعاب الدروس وفهمها، وتقدّموا في العلم، وبهذا استطاعوا وضع أُسس علميّة ثقافيّة للصابئة. وبموازنة ثقافة الصابئة قبل عهد الصادق وبعده نري فرقاً شاسعاً كالفرق بين النور والظلمة.

وكان الصابئة قبل الصادق فئة متخلّفة لا تتجاوز معلوماتها معلومات البدو، حتّي الموحّدين منهم فإنّهم لم يكونوا يعرفون الكثير ولم يكن علمهم يتجاوز علم البدويّ من العرب. لكنّهم أصبحوا بعد الصادق أُولي ثقافة، واشتهر علماء منهم في » الطبّ ، و « الفيزياء ، و « الكيمياء ، و « الهندسة « . ونقرأ أسماءهم اليوم في دوريّات المعارف والمعاجم.

وإلي الصادق يُعزي الفضل في أنّ الصابئة الغارقة في الجهل والحرمان قد أصبحت طائفة متقدّمة متمدّنة اشتهر كثير من أبنائها في ميادين العلوم المتباينة، كما انتفع العالم بثقافتهم وعلمهم. وبفضل إشعاع مدرسة الصادق بقيت لهؤلاء القوم شخصيّتهم

الخاصّة وكيانهم المستقلّ. القوم الذين لا يعرفون عن أنفسهم شيئاً ويجهلون تأريخهم وليس لهم ثقافة تميّزهم ورجال بارزون يعلونهم، ينقرضون.
أمّا الذين لهم تأريخ ويعرفون عن أنفسهم الشيء الكثير ولهم رجال لامعون وثقافة تميّزهم فإنّهم لا ينقرضون. كما أنّ الصابئة لم ينقرضوا، ولهم وجودهم اليوم، وإنّ قلّ عددهم عمّا كان عليه سابقاً. وما زال البعض منهم يعيش في المنطقة نفسها « حرّان
هناك إجماع بين الشيخ أبي الحسن الخرقانيّ، والزمخشريّ، والعطّار النيسابوريّ (ومن الطبيعيّ أنّ العطّار كان بعد الخرقانيّ) علي أنّ جعفراً الصادق هو قدوة العرفاء في التأريخ الإسلاميّ، ولا غرو أن يذكروه بعظيم الإجلال والاحترام والودّ.
ويمكن أن نعدّ الشيخ أبا الحسن الخرقانيّ باحثاً تاريخيا أيضاً، لأنّه تناول جذر العرفان في مباحثه والتفت إلي أنّ العرفان كان موجوداً في الشرق قبل الإسلام [٣١]
وبسبب اتّساع علوم الإمام وضخامة مدرسته العلميّة وصفه الشيخ أبو زهرة المصريّ بأنّه أفضل من سقراط، ورآه وحيد عصره وملجأ علماء زمانه في أنواع العلوم وأقسامها.
يقول الشيخ محمّد جواد مغنيّة: قال الشيخ أبو زهرة في كتاب » الإمام الصادق « : نشأ جعفر في مهد العلم ومعدنه. نشأ ببيت النبوّة الذي توارث علمها كابراً عن كابر. وعاش في مدينة جدّه رسول الله صلّي الله عليه وآله فتغذّي من ذلك الغرس الطاهر وأشرق في قلبه نور الحكمة بما درس، وما تلقّي، وبما فحص ومحّص.
وكان قوّة فكريّة في عصره، فلم يكتف بالدراسات الإسلاميّة وعلوم القرآن والسنّة والعقيدة، بل اتّجه إلي دراسة الكون وأسراره، ثمّ حلّق بعقله الجبّار في سماء الأفلاك، ومدار الشمس والقمر والنجوم، كما عني عناية كبري بدراسة النفس الإنسانيّة. وإذا كان التأريخ يقرّر أنّ سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلي الإنسان، فإنّ الإمام الصادق قد درس السماء والأرض والإنسان وشرائع الأديان.
وكان في علم الإسلام كلّه الإمام الذي يُرجع إليه. فهو أعلم الناس باختلاف الفقهاء، وقوله الفصل والعدل. وقد اعتبره أبو حنيفة أستاذه في الفقه. [٣٢]
مراحل حياة الشيعة

٢. مراحل التشيّع وسبب التسمية بالمذهب الجعفريّ

ذكر الشيخ مغنيّة ثلاث مراحل للتشيّع وكيفيّة تبلوره وتمذهبه بالمذهب الجعفريّ.

الدور الأول:

قال: والخلاصة أنّه بعد وفاة النبيّ اجتمع الأنصار في سقيفتهم يتداولون فيما بينهم، لتكون الخلافة فيهم ولهم دون قريش. فقصدهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة الجرّاح، وتمكّنوا من صرف الخلافة عن الأنصار إلي أبي بكر. وكان بنو هاشم في شغل بمصيبتهم وتجهيز الرسول. وعارض قوم من الأصحاب العارفين لحقّ عليّ،

وأصرّوا علي أن تكون الخلافة له، ولكن القوّة كانت ضدّهم. فكفّوا عن المعارضة وأمسكوا وأظهروا التسليم، ولكنّهم بثّوا الدعوة لعليّ بين الناس، ونقلوا إلي الأجيال ما سمعوه من نصّ النبيّ عليّ.

فالدعوة إلي التشيّع في هذا القرن كانت بسيطة ساذجة تماماً كالدعوة الإسلاميّة في هذا العهد لا فلسفيّة فيها، ولا شيء سوي حجج القرآن والسنّة النبويّة التي قبلها المسلمون الأولون، وآمنوا بها بدون جدال وتعليل وتأويل، ولا تعمّق في الشروح والتفاصيل، ولم يكن في هذا الدور فقه يعرف بفقه الشيعة، وآخر يعرف بفقه السنّة، ولذا لم يظهر أيّ فرق بين الشيعة وغيرهم إلاّ في مسألة الخلافة، وإمارة المؤمنين. وكان الشيعة في هذا الدور يعرفون بالتقوى والزهد، ومناهضة الظلم والظالمين، ومن هنا لاقوا من حكّام الجور ألواناً من التقتيل والتنكيل. الإمام الصادق عليه السلام يجيب عن الأسئلة العلميّة والشبهات .

الدور الثاني :

يبدأ الدور الثاني بعصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ونعني به آخر الدولة الأموية، حيث دبّ فيها الضعف، وأوّل دولة العبّاسيّين، حيث تنفّس الشيعة الصعداء بعد الأيام السود التي عاشوها مع الأمويين، وأصبحوا علي شيء من الحرّيّة والأمن علي أرواحهم وأموالهم. وأُتيح لائمّة أهل البيت أن ينشروا تعاليمهم في هذه الفرصة والفرجة. فرواها الألوف، وتقبّلها الملايين إلي أن قام المنصور، فوضع في طريقها العراقيل، وعاد الأمر أشدّ وأسوأ ممّا كان في العصر الأمويين إبّان قوّتهم وعظمتهم.

ازدحم الرواة والعلماء ـ في هذه الفترة ـ حول الإمام الصادق، وقصده الناس من كلّ قطر ينهلون من معينه، ويأخذون عنه شتّي العلوم والمعارف.

ونقل الشيخ مغنيّة هنا مطالب من » أعيان الشيعة « للسيّد محسن الأمين، و « تأريخ الشيعة « للمظفّر. أمّا مطالب » الأعيان « فقد أوردناها في سياق الحديث. وأمّا مطالب المظفّر فقد ذكرها كالآتي: أحسن أيّام مرّت علي الشيعة هي الفترة التي امتزجت من أُخريات دولة بني مروان، وأُوليات دولة بني العبّاس، في اشتغال الأمويين بقتل بعضهم البعض، وفي انتقاض البلاد عليهم، وفي اشتغال بني العبّاس بالحروب مع المر وانيين تارة، واستتاب الأمن أُخري. فانتهز الشيعة هذه الفرصة للارتواء من مناهل علم الإمام الصادق، فشدّوا الرحال إليه لأخذ أحكام الدين والمعارف عنه.

٣. إتاحة الفرصة للإمام الصادق عليه السلام من أجل بثّ العلم

ولقد روي عنه في كلّ علم وفنّ، كما تشهد به كتب الشيعة، ولم تقتصر الرواية عنه علي الشيعة فحسب، بل روت عنه سائر الفرق كما تفصح بذلك كتب الحديث والرجال.... وصارت الشيعة في غضون هذه الفترة تنشر الحديث، وتجهر بولاء أهل البيت. وربا عددهم في مختلف الجهات. ولمّا قامت دعائم السلطان للمنصور، ضيّق علي الإمام الصادق، وأراد أن يقطع الأصل ليكون به جفاف الفرع [٣٣] .

لقد وافق عصر الإمام الصادق حركة فكريّة بلغت الغاية في نشاطها وانتشارها. وظهرت مقالات غريبة، وتيّارات أجنبيّة عن الإسلام تفشّت بين المسلمين، بخاصّة بين شبابهم بالنظر لاتساع رقعة الإسلام، وكثرة الفتوحات التي فتحها العرب، واندماجهم بالأمم العديدة المتباينة في ثقافاتها وأديانها.

فكان الملحدون يلقون الشبهات، والمرجئة يساندون حكّام الجور، والمغالون يدعون مع الله إلهاً آخراً، والخوارج يكفّرون المسلمين، والمتصوّفة يضلّلون ويراؤون، والمحدِّثون يضعون الأحاديث علي رسول الله، والمؤمنون يريدون إيماناً واعياً. فكان الشغل الشاغل لقادة الدين أن يدافعوا عنه ويثبتوا صحّة العقيدة، ويفنّدوا مزاعم المبطلين، ويزيّفوا أقوالهم.

وكانت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أوّل من شعر بهذا الخطر، وأسبق من عمل لدرئه ومناهضته، فأخذت علي نفسها الذبّ عن الحقّ وأهله، وحملت لواء الشريعة الإسلاميّة أُصولها وفروعها، وتصدّت لكلّ مهاجم ومعاند، وأعلنت حرباً لا هوادة معها علي الغلاة، [٣٤] وناضلت ضدّ المعتزلة، والمتصوّفة، والمرجئة، والخوارج، والاشاعرة، وصحّحت لعلماء الكلام الذين حاولوا إثبات الدين كثيراً ممّا وقعوا فيه من الأخطاء.

وجرت بين هؤلاء من جهة، وبين الإمام الصادق وتلاميذه من جهة مناظرات ومجادلات كان الفوز والنصر فيها لمدرسة الإمام. فأثبت بالبرهان أنّ أقوالهم تبتعد عن الحقّ بمقدار صدودها عن الإسلام وتعاليمه. [٣٥]لذا اتّجهت الأنظار إلي المعلّم الأكبر، وتشيّع له المفكّرون، وحفظوا أقواله ودوّنوها، واعتبروها الفصل بين الحقّ والباطل، وبين الأصيل والدخيل تماماً كأقوال جدّه الرسول صلّي الله عليه وآله.

وكان من نتيجة هذه الفترة ومرافقتها لتلك الحركات الفكريّة أن عرف المذهب صافياً علي حقيقته في العقائد والتفسير، والأخلاق والفقه وأُصوله، وأخذ التشيّع معناه ومجراه في إطاره العلميّ أُصولاً وفروعاً. وقد كان المذهب في أشدّ الحاجة إلي هذا المتنفّس والمنطلق الذي صادف وجود الإمام، إذ لو أمكنت الفرصة ولم يوجد الإمام، أو وجد ولم تكن الفرصة ممكنة، أو تحقّق الأمران ولم تكن تلك الحركات الفكريّة، لم يكن لنا هذا التراث الضخم في شتّي العلوم الإسلاميّة، خصوصاً الفقه، بل لم يكن هذا التقارب بين الشيعة والسنّة في أُصول الدين ومبادي التشريع. فالفضل في استقلال

المذهب وتركيزه كما هو الآن يعود للإمام الصادق بعد أن أسعفته الظروف، ومهّدت له السبيل.ومن هنا أُطلق علي الشيعة لفظ الجعفريّين، وعلي فقههم الفقه الجعفريّ.

نحن نؤمن وندين بأنّ كلّ إمام من الأئمة ألاثني عشر عنده علم الكتاب وسنّة الرسول بكاملهما. وأنّه أعلم أهل زمانه علي الإطلاق. ولكن العلم ليس بالسبب الكافي لبثّه ونشره ما لم تواكبه عوامل أُخرى. وقد ساعد الإمام الصادقَ علي بثّ علومه ومعارفه العامل الحضاريّ من جهة، وفترة انتقال الحكم من الأمويين إلي العبّاسيّين من جهة ثانية، ووجود رواة ثقات كثيرين يؤمنون بالصادق ويحسنون الأخذ عنه من جهة ثالثة، حتّي ذهب بعض علماء الأمامية إلي القول بتوثيق الأربعة آلاف راوٍ بدون استثناء. وقد يكون هناك عوامل أُخري خفيت علينا إلي جانب هذه العوامل التي استبانت لنا.

وعلي أيّة حال، فإنّ هذه الأسباب مجتمعة لم تتوفّر لأحد من الأئمة غير الإمام الصادق. فقد كان للإمام عليّ حواريّون وأصحاب خلّص كميثم التمّار، وكميل بن زياد، وحجر بن عديّ، ومحمّد بن أبي بكر وغيرهم، ولكنّه مُنيَ في خلافته بالحروب والفتن الداخليّة. ولمّا انتقل إلي جوار ربّه عمل معاوية علي طمس آثاره، وقتل رجاله، والقضاء علي كلّ ما يمتّ إليه بسبب.

أمّا عهد الحسنين والإمام السجّاد فهو عهد معاوية، وولده يزيد، وزياد، وابنه عبيد الله، وعبد الملك وشيطانه الحجّاج، عهد مذابح الشيعة ومجازرهم، واستشهاد أئمّتهم، عهد سمّ الحسن، ومذبحة مرج عذراء، ومأساة كربلاء، ووقعة الحَرَّة، وما إليها.

أمّا الإمام الباقر فهو المؤسّس الأول لمدرسة ولده الصادق. فقد كان له أصحاب وتلاميذ من كبار التابعين وأعيان الفقهاء والمحدّثين يتحلّقون حوله للدرس في مسجد جدّه الرسول، ولكنّ الله سبحانه قد اختاره إليه قبل أن تبلغ هذه المدرسة الغاية في النموّ والازدهار، فقبض في خلافة هشام ابن عبد الملك، وهو ابن ٥٧ سنة، فخلفه ولده الإمام الصادق، وتوالت علي مدرسته حظوظ وتوفيقات شتّي، حيث ربا عدد تلاميذها علي ما كانوا أيّام أبيه، وأصبح الذين يفدون إليها، ويهتدون بهديها يعدّون بالألوف.

وبعد الإمام الصادق عادت الظروف إلي قسوتها، والحوادث إلي شدّتها علي الأئمة وشيعتهم، ولكن المذهب كان قد انتشر في كلّ قطر، وعرفت معالمه، وتركّزت أُسسه، وحُفِظَ ودُوّنَ، وعمل الناس به منذ أيّام الصادق، حتّي اليوم، وإلي آخر يوم.

وبالتالي، فإنّ مذهب أهل البيت تبلور واتّخذ صورته واضحةً جليّةً، وثبتت أركانه ودعائمه في عهد الإمام الصادق، وأصبح للشيعة فقههم المستقلّ، وعلماؤهم ورواتهم المعروفون، وآراؤهم الخاصّة بالتوحيد والعدل وعصمة الأنبياء وشفاعتهم، وبالجبر والاختيار، وما إلي ذلك. وتميّز مذهب التشيّع عن بقيّة المذاهب تميّزاً تامّاً كما تميّز مذهب المعتزلة عن مذهب الاشاعرة. أمّا أقوال بقيّة الأئمة الأطهار منذ الإمام الكاظم

إلي نهاية الغيبة الصغري فهي إمّا تأكيد لأقوال الصادق، وإمّا متمّمة لبعض أُصول المذهب أو فروعه. أمّا رجالات الشيعة في عهد الإمام الصادق وبعده فكان همّهم واهتمامهم حفظ تعاليمه، وتدوينها والدفاع عنها (٣٦).

واليوم لا يرتوي تفسير الشيعة ألاثني عشريّة وعلومهم فحسب من نمير الإمام الصادق عليه السلام، بل يرتوي منه أيضاً فقه السبعيّة » الإسماعيليّة « وتفسيرهم وعلومهم علي كثرتهم ووفور عددهم. وما كتاب » دعائم الإسلام للقاضي نعمان التميميّ المغربيّ إلاّ نموذج لذلك الفقه علي أساس روايات الإمام الصادق عليه السلام.

لذلك فالمذهب الجعفريّ مذهب مشترك بين الطائفة الشيعيّة ألاثني عشريّة الحقّة المحقّة والطائفة السبعيّة الإسماعيليّة التي أقامت مذهبها علي العدد سبعة، إذ ذهبت إلي أنّ إسماعيل ابن الإمام الصادق، الذي توفّي في حياة أبيه، هو إمامها السابع.

لهذا تمييزاً بين هاتين الطائفتين أضاف العلماء الإعلام لفظ » الاثني عشريّة « بعد « الجعفريّة « وقالوا: الشيعة الجعفريّة الاثنا عشريّة.

وإما أراء كوربان في محاور أخرى في دراسة الفقه الشيعي فيتجلى كذلك من خلال دراسة كتاب معرفة الامام المجلد الثامن عشر والقسم السادس من خلال

١. معني الإمام عند الشيعة وانحصاره با لأئمة الاثني عشر عليهم

ويشير كوربان إلى انحصار لقب الامام بالأئمة الاثني عشرمن خلال دراسة كتاب معرفة الامام المجلد الثامن عشر والقسم السادس حيث يشير إلى

إنّ المقصود من الاثني عشريّة هم الذين يقرّون ويعترفون بإمامة اثني عشر شخصاً من أهل البيت عليهم السلام، ويجعلون ذلك ديناً لهم. ويتواضعون أمام هؤلاء الأئمة. ويرونهم أُولي مَلَكَة العصمة، ويذهبون إلي أنّهم عِدل القرآن الكريم: كتاب الوحي السماويّ في حُجّيّة كلامهم. وفي ضوء حديث الثقلين فإنّ كلامهم معصوم ككتاب الله. وكذا أفعالهم وأفكارهم. لا يصدر منهم خطأ، لانّ جواز الخطأ عليهم يلازم سقوط الحجّيّة عن أقوالهم. ووفقاً للحديث المذكور الذي قرنهم بالكتاب الأبدي الثابت الذي لا يقبل الخطأ فإنّ عصمة كلامهم وفعلهم أمر لازم لا يقبل الشبهة.

ذلك أ ّننا لو فرضنا جواز الخطأ عليهم، فإنّنا إمّا نجيز هذا الخطأ علي كتاب الله، وحينئذٍ يلازم ذلك فرض الخطأ في الوحي الإلهيّ وأزليّته وأبديّته، وهذا محال. وإمّا أن نسلب احتمال الخطأ عن الإمام ، ونراه معصوماً ككتاب الله ، وعندئذٍ تثبت استقامتهم وعصمتهم في جميع مراحل حياتهم بدون أدني خطأ أو أقلّ اشتباه سواء في الشؤون التبليغيّة والإرشاديّة والإمارة والرئاسة علي المسلمين، أم في الشؤون الشخصيّة والاجتماعيّة كالمعاملات، والمقايضات، وأمثال ذلك.

غير المعصوم لا يُسمّي إماماً عند الشيعة هذا هو معني الإمام في الاصطلاح الشيعيّ. أي: زعيم العالمين ومقتداهم في الشؤون الظاهريّة والباطنيّة، والاجتماعيّة

والمعنويّة الروحانيّة، والملكيّة والملكوتيّة. وقد وهبه الله الحصانة والعصمة اصطفاءً من لدنه ليكون زعيماً مقدّماً في جميع الأمور.

وهؤلاء الأئمة ينحصرون في اثني عشر شخصاً: أوّلهم الإمام عليّ ابن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام ، وآخرهم الإمام الحجّة بقيّة الله : محمّد بن الحسن العسكريّ عجّل الله تعالي فَرَجَهُ المبارك.

وهو حيّ حسب عقيدة الشيعة الراسخة، وبيده ولاية الشؤون المعنويّة والملكوتيّة في العوالم، بَيدَ أنّه غائب عن الأنظار الآن بسبب غصب الغاصبين للخلافة والإمامة، ويظلّ غائباً إلي أن يأذن الله تعالي بظهوره فيُقيل المتصدّين للسلطة علي الناس باطلاً، ويتولّي حكومة الناس علي أساس الطهارة السرّيّة والعصمة الإلهيّة والولاية الحقّة الحقيقيّة الكبرى.

لهذا عدد هؤلاء الأئمة اثنا عشر كنقباء بني إسرائيل، لا ينقص ولا يزيد. والعدد (١١) غلط، كمن يختم الإمامة مثلاً بالإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، والعدد (١٣) غلط أيضاً، كمن يختار له إماماً غير الإمام المهديّ بقيّة الله أرواحنا فداه.

من الطبيعيّ أنّ هذا الموضوع يقوم علي أساس معتقد الشيعة ومذهبهم واصطلاحهم، لا كما ورد في اللغة واستعمال العامّة الذين يطلقونه علي كلّ من كان زعيماً مقدّماً في أمر من الأمور.

كما وردت في القرآن الكريم آيات بهذا اللفظ في المعني المطلق للإمام والقدوة. كقوله تعالي:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَ جِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا. [٣٧] لفظ الإمام في هذه الآية يعود إلي مطلق المراد منه هنا طبعاً مطلق الإمام الصالح.وقوله تعالي: فَقَـٰتِلُوٓ ا أَئمة الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ. [٣٨] .واللفظ هنا أيضاً يراد به مطلق الإمام، المقصود هنا مطلق أئمّة الكفر. وقوله تعالي: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ. [٣٩] ولفظه في هذه الآية يرتبط بمطلق الإمام أيضاً ، سواء كان إمام الفجّار الذي يسوق الآثمين إلي النار يوم القيامة، أم إمام الإبرار الذي يقود الصالحين إلي الجنّة يومئذٍ.

علماً أنّ لفظ الإمام قد ورد في القرآن الكريم بمعني الإمام حسب مصطلح الشيعة الأمامية أيضاً، كقوله تعالي: وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَا هِيمَ رَبُّهُ و بِكَلِمات لفَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّـٰلِمِينَ. [٤٠] المراد من لفظ الإمام هنا هو المعني الأخص له. ولهذا لا ينال الظالمون هذا المقام، وإلاّ فمن الواضح أنّهم لا يحرزون مقام الإمامة بمعناها المطلق أيضاً.

أجل، إنّ لفظ الإمام والأمامية في عرف الشيعة هو خصوص المعني المعهود والمعروف، لا مطلقه، وإلاّ فلا معني لإطلاق الأمامية علي الشيعة الاثني عشريّة. وكلّ جماعة تتبع مقتداها تُدعي الأمامية حتماً كالحنابلة، والحنفيّة ، إذ إنّ لكلّ فرقة

من هؤلاء إماماً . ولمّا كان مقتدوهم أبا حنيفة، أو أحمد بن حنبل، فلا جرم أن يقال لهم: الأمامية أيضاً، ويكون إطلاق هذا اللفظ عليهم صحيحاً، في حين ليس الأمر كذلك.

إنّ لفظ الأمامية يطلق علي القائلين بولاية الأئمة المعصومين الاثني عشر وإمارتهم. ويطلقه عليهم المؤرّخون بما فيهم مناوئوهم كأحمد أمين المصريّ، والشهرستانيّ، وفريد وجدي، وابن خلدون، [٤١] ومن شابههم. فإنّ هؤلاء يرون أنّ الأمامية اصطلاح خاصّ لهذه الجماعة خاصّةً. وذكر كلّ منهم فصلاً في كتابه حول الأمامية. وعقّبوه بشرح مشبع يتناول مزايا المذهب الشيعيّ الأمامي الاثني عشريّ، أو الإسماعيليّ وآثارهما وأخبارهما وخصائصهما. ولهذا في ضوء عقيدة الشيعة الاثني عشريّة المؤمنة بحياة الحجّة عليه السلام وإمامته لا يمكن أن نطلق لقب » الإمام « علي غيره [٤٢] .

الخاتمة.....

في الخاتمة يمكن ادراج النتائج التي ترتبت على دراسة كوربان للمذهب الشيعي:

١. من الصعب حقاً أن نجد مستشرقاً مثل كوربان منصفاً ونزيهاً تمام النزاهة في كتاباته عن الإسلام وكتابه السماوي، وعن مبادئه ورسوله(ص) ورجاله، وعن التاريخ استطاع إن يتمزعن باقي المستشرقين الذي جاءت دراساتهم غير كاملة وغير ناضجة تماماً، لأن الذي ينظر إلى الأمور بعين واحدة ستبقى نظرته ناقصة وغير مكتملة تماماً، بل ستظل رؤيته للأمور ضبابية وكأنه ينظر إلى الأمور بواقعيته الخاصة لا كما هي في حقيقتها أبداً، فالمصدر الوحيد الذي اعتمده المستشرقون هو المصدر التاريخي الذي كتبه رجال السلطة وأصحاب القوة المادية الذين تربعوا على

كرسي الحكم باسم الإسلام وهم أبعد ما يكونوا عن مبادئه وأحكامه وروحانيته، فتحول كرسي الخليفة إلى عرش ملك.

٢.أضاء الجوانب الروحية التي مثلتها مدرسة أهل البيت (ع) خير تمثيل، وبالرغم من كل ما حدث من خلط أوراق مهمة في التاريخ الإسلامي وتشويه لكثير من الحقائق فيها حيث بقيت مدرسة أهل البيت (ع) المدرسة الأولى التي كانت ولا تزال تمثل الحبل المتين والعروة الوثقى التي تربط أتباعها بين عالمين، عالم الأرض وعالم السماء كي تحقق بذلك التوازن المادي - الروحي في النسيج الفكري - الجسدي للإنسان المسلم حقاً.

٣.خالف رؤية جميع المستشرقين الذين أخذوها عن الإسلام والتشيع عكست بعداً أحادياً في أذهانهم من خلال اعتمادهم على مصادر فريق واحد وإهمالهم للفريق الآخر، أن ما جناه المستشرقون حتى الآن من معلومات عن الإسلام اقتصر على مصادر أهل السنة ولم يتجاوزها إلى غيرها أبداً، بحيث لم ينفتح هؤلاء المستشرقون على غير هذا المحيط فيما يحفل به من مصادر ورجال مثل كوربان ، بل نراهم عادوا إلى مصادر أهل السنة وعلمائهم في تشخيص المذاهب الإسلامية المختلفة .(٤٣)

٤. ركز كوربان في المذهب الشيعي على قضية الولاية، بالإضافة إلى قضية أخرى إنها قضية الإمام المهدي(عج) وإيمان الشيعة ألاثني عشرية بعودته بعد ظهور عدة دلائل وإشارات بغية إحياء علوم وسنة جده الرسول المصطفى (ص) من جديد.

٥.انفردكوربان برؤيته إلى مذهب التشيع رؤية واقعية حيث قال هو المذهب الوحيد الذي حفظ بشكل مستمر، رابطة الهداية بين الله والخلق، وعُلقة الولاية، حية إلى الأبد، فاليهودية أنهت العلاقة الواقعية بين الله والعالم الإنساني، في شخص النبي موسى (ع)، ثم لم تذعن بعدئذ بنبوة السيد المسيح والنبي محمد (ع) فقطعت الرابطة المذكورة، والمسيحية توقفت بالعلاقة عند المسيح (ع) ، أما أهل السنة من المسلمين فقد توقفوا بالعلاقة المذكورة عند النبي محمد (ص)،التشيع يبقى هو المذهب الوحيد حسب كوربان الذي آمن بختم نبوة محمد (ص) وآمن في الوقت نفسه بالولاية- وهي العلاقة التي تستكمل خط الهداية، وتسير به بعد النبي- وأبقى عليها حية إلى الأبد) (٤٤).

٦.أستطاع بجدارة ، لتعريف العالم الغربي بمذهب التشيع على النحو الذي يليق به ويتّسق مع واقعية هذا المذهب، وبذل الجهود الجبارة في هذا الطريق) (٤٥)

٧. إن الأثر المباشر الذي تركه كوربان في المذهب الشيعي يتجلى في مظهرين واضحين تماماً، فالمظهر الأول يتجلى بتغير النظرة المشوهة في العالم الغربي عن الإسلام، كدين سماوي وعن المذهب الشيعي كفكر إسلامي أصيل احتل منذ بيعة الدار الصدارة الروحية في الساحة الإسلامية) .(٤٦)

٨.أما المظهر الثاني الذي تركه كوربان فيتجلى بشكل مباشر وشخصي تماماً، فالباحث الذي يتعمق بدراسة الأبعاد الروحية للدين الإسلامي سيعشق هذا الدين بلا شك، وعندما يتعلق هذا الباحث أو ذاك بروحانية هذا الدين وبتعاليمه الإنسانية السمحاء، فسيلجأ إلى النبع الصافي لهذه التعاليم وسيترك ما عدا ذلك من فروع، لأن الصفاء والنقاء الحقيقيين سيكونان في عين النبع ومصدره الأساسي، لا في فروعه وتشعباته المختلفة، فالصفاء سيكون، كما كان دائماً، في مدرسة بيت الوحي، في مدرسة أهل بيت المصطفى (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، إسلامه سنة ١٩٧٨ ،(٤٧) بعد أن قدم خدماته العلمية الجليلة للعالم الغربي وأفنى حياته في سبيل إعلاء ونصرة الفكر الشيعي المحتضن والمقتفي للآثار والمبادئ الفكرية الخالدة لأهل البيت المطهر(ع) .

هوامش البحث

١. احمد امين ، فجر الإسلام: مكتبة النهضة المصرية ، مصر، ١٩٣٣م ، ١٧٦.

٢. عبد الرحمن بدوي ، الخوارج والشيعة، مصر ، ١٩٩٨، : ١١٣.

٣. المستشرق جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام حمد يوسف موسى -علي حسن عبدالقادر - عبد العزيز عبد الحق نشر : دار الكتب الحديثة ، مصر مكتبة المثنى ، بغداد، بلا: ٢٠٤.

٤. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت،بلا، ١٠٢.

٥. محمد ابو زهرة ، الإمام الصادق - حياته وعصره وآراؤه وفقهه - دار الفكر العربي - القاهرة٥٤٥.

٦. محسن الامين ،أعيان الشيعة ج ١، القسم الأول: ط ٢ـ دمشق ١٣٦٣هـ، ٥٠ ـ ٥١

٧. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى: ٢٧٩هـ) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٩٨٨ م،٢٧٩

٨. ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، بيروت ،بلا ،٤: ٣٩٦، مادة قم، ويقول في مراصد الاطلاع بأنّ أهل قم، وكاشان كلّهم شيعة أمامية. ولاحظ ، النجاشي ،ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي، رجال النجاشي، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨ هـ، ترجمة الرواة الأشعريين فيه.ص١٢٣

٩. عبد الرحمن بدوي ،الخوارج والشيعة: ١٦٩.

١٠. سورة ،الحديد: الاية ،٢٦.

١١. سورة ،البقرة: الاية ،.١٢٤

١٢. سورة ،النساء: الاية ،. ٥٤.

١٣. محمد ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، بلا : ٣٥.

١٤. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : ليدن سنه ١٨٧٧ م، ١١٩ ـ

١٥. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم – بيروت، ١٤٠٧ ه- ١٩٨٧ م ، ٢١٩ ـ ٢٢٠.

١٦. عياض ، أبي الفضل عياض بن موسى(ت ،٥٤٤هـ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١: ٥٣.

١٧. محمد ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ١: ١٤٠.

١٨. ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت،٦٣٠ه)،الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ٥: ١٣٩.

١٩. البيهقي ، محمد بن إبراهيم . المحاسن والمساوئ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف .مصر ،١٩٩١ ، ١٠٨/١

٢٠. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ، المختصر في أخبار البشر المؤلف (ت: ٧٣٢هـ) المطبعة الحسينية المصرية ،بلا،٢: ٦٨

٢١. ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت، ٤٣٨هـ/١٠٤٦م) الفهرست تحقيق ،إبراهيم رمضان الناشر: دار المعرفة بيروت ـ لبنان ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ مـ .،ـ٢٦٣،

٢٢. فلهاوزن ، احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة:ترجمة عن الالمانية ، عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ،١٩٥٨م ، ١٤٦ .

٢٣. توفّي البرقي عام (٢٧٤) وألّف ابن النديم كتابه عام (٣٧٧) وتوفّي عام٣٧٨

٢٤. البرقي، :أبي جعفر بن أبي عبد الله(ت ،٢٧٤ه) ، كتاب الرجال، جامعة طهران – أيران، بلا، ٣

٢٥. عبد الله فياض ، تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة، مؤسسة الاعلمي -- مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٩م ٣٧.

٢٦. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، ١٩٦٨م ٤: ٤٦ .

٢٧. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، ، (ت: ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م٩: ١٩ -

٢٨. ابن الجوزي ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ١٦: ١٠٨

٢٩. ـ صاحب هذا الكتاب هو فريد الدين محمّد العطّار النيسابوريّ الذي اشتهر بالشيخ فريد الدين. ولد سنة ٥٤٠ ه واستشهد في هجوم المغول علي نيسابور سنة ٦١٨ ه. وجميع كتبه منظومة مثل «منطق الطير»، و«إلهي نامه»، و«أسرار نامه» وغيرها. وله كتاب منثور واحد هو «تذكرة الأولياء» في ترجمة العرفاء والصوفيّة العظام. (م)

٣٠. ـ ولد الشيخ أبو الحسن الخرقانيّ في قرية خرقان من توابع بسطام سنة ٣٥٢ ه. وأخذ الخرقة من الشيخ أبي العبّاس أحمد بن محمّد القصّاب الآمليّ. توفّي بخرقان ودفن بها سنة ٤٢٥ ه. وله هذا الرباعي المشهور الذي يظنّ الناس أ نّه لعمر الخيّام النيسابوريّ:
إسرار أزل را نه تو داني و نه من و اين حرف معمّا نه تو خواني و نه من
اندر پس پرده گفتگوي من و تو چون پرده برافتد نه تو ماني و نه من
يقول : »لا أنا ولا أنت نعرف أسرار الازل . ولا أنا ولا أنت نستطيع أن نقرأ هذا اللغز . حوارنا أنا وأنت خلف الستار، وإذا أُزيح الستار لا أنت تبقي ولا أنا».

٣١. ـ «مغز متفكّر جهان شيعه» ص ٧٩ إلي ٨٣.

٣٢. احسان الهي ظهير ،الشيعة والتشيّع، الرياض ، ١٤١٥ه/١٩٩٥م ص ٢٥٢ و ٢٥٣.

٣٣. ـ إلي هنا كلام محمد رضا المظفّر الذي ذكره في عقائد الامامية ، النجف ،١٣٧٠ه ص ٤٣.

٣٤. ـ قال في الهامش: ولا أُجافي الصواب إذا قلتُ: إنّ الإمام الصادق قرّب مسافة الخلف بين السنّة والشيعة في محاربته الغلاة، وإبطال الكثير من أقوال المعتزلة.

٣٥. ـ تجد الكثير من هذه المناظرات في كتاب » الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)،الاحتجاج،تحقيق ، السيد محمد باقر الخرسان.، النجف ،١٩٦٦ ـ ١٣٨٦ م.
المجلسي : محمد باقر (ت، ١١١١/ ١٦٩٩م) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. تحقيق: محمد الباقر البهبودي، سنة الطبع: مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣ وسائر كتب المناقب والفضائل.

٣٦ ـ احسان الهي ظهير «الشيعة والتشيّع» ص ١١٣ إلي ١١٨.

٣٧ سورة الفرقان ،الاية ،٧٤

٣٨ سورة التوبة ، الاية ١٢

٣٩ سورة الإسراء.الاية ٧١

٤٠ سورة البقرة ، الاية ١٢٤

٤١ ـ قال ابن خلدون في مقدّمته، ص ٢٠١: وأمّا الاثنا عشريّة فربّما خُصّوا باسم الأمامية عند المتأخّرين منهم، فقالوا بإمامة موسي الكاظم بن جعفر الصادق لوفاة أخيه الأكبر إسماعيل الإمام في حياة أبيهما جعفر، فنصّ علي إمامة موسي هذا، ثمّ ابنه عليّ الرضا الذي عهد إليه المأمون ومات قبله فلم يتمّ له أمر، ثمّ ابنه محمّد التقيّ، ثمّ ابنه عليّ الهاديّ، ثمّ ابنه الحسن العسكريّ، ثمّ ابنه محمّد المهديّ المنتظر الذي قدّمناه قبل. ابن خلدون ،(ت ، ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش،: دار يعرب، دمشق ، ٢٠٠٤م

٤٢ – تحدّثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب عن هذا الموضوع، وذلك في الدرس ١٢ إلي ١٤.

٤٣ ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: الشيعة؛ نص الحوار مع المستشرق كوربان تعريب جواد علي ،طبع مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط١/ ١٤١٦هـ. ص٤٦

٤٤ـ الشيعة: نص الحوار مع المستشرق كوربان، مصدر سابق، ص٤٩.

٤٥– محمد حسين الطباطبائي الشيعة: نص حوار مع المستشرق كوربان ص٤٨.

٤٦– مجلة النور: العدد ١٠٩ حزيران عام ٢٠٠٠، تصدر عن دار النور-لندن. ص٥٧،

٤٧ـ جريدة كيهان العربي: العدد ٣٦٩٦، السنة السادسة عشرة، ٦ تموز ١٩٩٦، راجع الملحق ٤.

المصادر والمراجع

القران الكريم

أولا : المصادر العربية

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، ، (ت: ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧

٢. البرقي، :أبي جعفر بن أبي عبد الله(ت ،٢٧٤ه) ، كتاب الرجال، جامعة طهران ، أيران، بلا،

٣. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم – بيروت، ١٤٠٧ ه- ١٩٨٧ م

٤. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى: ٢٧٩هـ) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٩٨٨ م

٥. البيهقي ، محمد بن إبراهيم . المحاسن والمساوئ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف .مصر ،١٩٩١ .

٦. ابن الجوزي ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م،

٧. ابن خلدون ،(ت ، ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش،: دار يعرب، دمشق ، ٢٠٠٤م

٨. الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت ،٥٤٨هـ)،الاحتجاج،تحقيق ، السيد محمد باقر الخرسان.، النجف ،١٩٦٦ - ١٣٨٦ م.

٩. الطبري ، محمد بن جرير (ت، ٣١٠ه) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، ١٩٦٨م .

١٠. عياض ، أبي الفضل عياض بن موسى(ت ،٥٤٤هـ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، دار الكتب العلمية ، بيروت

١١. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ، المختصر في أخبار البشر المؤلف (ت: ٧٣٢هـ) المطبعة الحسينية المصرية ،بلا،

١٢. المجلسي : محمد باقر (ت، ١١١١/ ١٦٩٩م) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. تحقيق: محمد الباقر البهبودي، سنة الطبع: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣

١٣. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : ليدن سنه ١٨٧٧ م،

١٤. النجاشي ،ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي(ت، ٤٥٠ه)، رجال النجاشي، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨ هـ

١٥. ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت، ٤٣٨هـ/١٠٤٦م) الفهرست تحقيق ،إبراهيم رمضان الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ مـ .

١٦. ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، بيروت ،بلا .

ثانيا : المراجع

١٧. ألامين، محسن الامين ،أعيان الشيعة ج ١، القسم الأول: ط ٢- دمشق ١٣٦٣هـ،

١٨. احمد امين ، فجر الإسلام: مكتبة النهضة المصرية ، مصر، ١٩٣٣م ،

١٩. احسان الهي ظهير ،الشيعة والتشيّع، الرياض ، ١٤١٥ه/١٩٩٥م

٢٠. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت،بلا،

٢١. جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام حمد يوسف موسى -علي حسن عبدالقادر - عبد العزيز عبد الحق نشر : دار الكتب الحديثة ، مصر مكتبة المثنى ، بغداد، بلا

٢٢. - الطباطبائي: محمد حسين: الشيعة؛ نص الحوار مع المستشرق كوربان تعريب جواد علي ،طبع مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط١/ ١٤١٦هـ.

٢٣. عبد الله فياض ، تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة، مؤسسة الاعلمي -- مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٩م

٢٤. فلهاوزن ، احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة:ترجمة عن الالمانية ، عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ،١٩٥٨م

٢٥. محمد ابو زهرة ، الإمام الصادق - حياته وعصره وآراؤه وفقهه - دار الفكر العربي - القاهرة.بلا

٢٦. محمد ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، بلا :

٢٧. محمد رضا المظفّر الذي ذكره في عقائد الامامية ، النجف ،١٣٧٠ه .

ثالثا :المصادر الفارسية

٢٨.كتاب الامام جعفر الصادق «مغز متفكّر جهان شيعه ترجمة ذبيح الله منصوري ، الحوزة العلمية ، قم ،١٣٥٦ه

رابعا :المجلات .

٢٩.جريدة كيهان العربي: العدد ٣٦٩٦، السنة السادسة عشرة، ٦ تموز ١٩٩٦،

٣٠.مجلة النور: العدد ١٠٩ حزيران عام ٢٠٠٠، تصدر عن دار النور-لندن.